المقدمة

يحتاج الباحث في بحثه العلمي و عمله الدراسي إلى معرفة مصادر موثوقة تساعده فيالحصول علىالمعلومات التي يريدها و هناك فرق كبير بين المصادر والمراجع فالمصدر هوالكتاب الذي وصل إلينا من العصر الذي نريد دراسة أحواله والمرجع يطلق عادة على كل أثر جديد ألف عن عصر قد مضى ـ فيجب على الدارس أن يتعرف علىالمصادر فضلاً عن المراجع قبل أن يبدأ بعمله الدراسي ليكون بحثه أكثر عمقاً و دقّة و رصانة. و مما يؤسف له أن أكثر طلابنا الجامعيين و خاصة في قسم الأدب العربي لايعرفون مصادر معلوماتهم ولاكيفية استعمالها و يغادرون الجامعة دون أن يتحسن وضعهم من هذه الناحية. و من أسباب ذلك أولاً عدم العناية بالتحقيق والدراسة في جامعاتنا و ثانياً فقدان المصادر العربية و صعوبة الحصول عليها في بلادنا. و بما أنّ الخطوة الأولى في التحقيق هي معرفة المصادر، فمنذ توليت تدريس «التعريف بالمصادر» في قسم الأدب العربي في بعض الجامعات كنت أطمح الى تأليف كتاب يساعد الطلاب في معرفة أمهات المصادر العربية حتى أحالت لجنة تأليف الكتب للجامعات (سمت) هذا الأمر الخطير إلي فأقدمت على هذا الكتاب الذي آمل أن يكون قد حقق هدفه.

حاولت في هذا التأليف أن أقدّم لطلاب قسم اللغة العربية و آدابها تعريفاً بالمصادر التي لابد لكل منهم أن يعرفها و بما أنه لميكن بمقدوري أن آتي بجميع المصادر في شتى مجالات المعرفة، فقد اكتفيت من جميع فنونها بالشعر والأدب واللغة والنحو و التاريخ والجغرافيا. و بعد تمهيد أشرت فيه إلى النهضة التي أدّت إلى تدوين الروايات عندالعرب و ظهور الكتب في القرون الإسلامية الأولى، قسمت الكتاب إلى فصول تضم المجموعات الشعرية و أمهات المصادر الأدبية و اللغوية والنحوية و التاريخية والجغرافية. فالتزمت في تعريف كل مصدر من المصادر الترتيب الزمني لأبين إلى حدّ ما حركة النمو و التطور التي حدثت في مجال التأليف على مرالعصور. والتعريف بكل كتاب مقسم على عدة أقسام: ترجمة المؤلف، وصف منهج الكتاب مع بيان أهم موضوعاته و تقديم نموذج منه كلما اقتضى الأمر لبيان أسلوبه.

أما ترجمة المؤلف فقد حرصت أن تكون موجزة و استعضت عن التفصيل بذكر عدد من

المصادر و المراجع في هوامش الكتاب لمن يروم المزيد من الاطلاع على حياة المؤلف. و أما النماذج فقد أوردتها ليطلع الطلاب على أسلوب المؤلف و رأيت إيرادها ضرورة لابد منها لأن الرجوع إلى أصل المصادر صعب بالنسبة لكثير من الطلبة.

و من الواجب على أن اتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنى و شجعنى فى تدوين هذا الكتاب و لا سيما الاستاذان الدكتور محمدحسن تبرائيان و الدكتور سعيد نجفى اسداللهى، «فجزاهما الله خير الجزاء».

عنايت‌الله فاتحي‌نژاد

مقدمات تمهيدية

(تمهيد فى تدوين الروايات و ظهور الكتب عندالعرب)

انتشار العلوم و المعارف عن طريق الرواية الشفوية

كان لدى العرب في الجاهلية علوم و معارف أهمها علمهم بالأنساب و الأيام و ماينطوي عليه من‌المناقب والمثالب و كانوا يسمّون حروبهم و وقائعهم أياماً لأنهم كانوا يتحاربون نهاراً و إذا أقبل الليل تركوا القتال حتى صباح الغد، و تسمى هذه الحروب و الأيام غالباً بأسماء البقاع و الآبار التي نشبت بجانبها مثل يوم ذي قار و يوم شِعب جبلة و قدتسمى بأسماء ما كان سبباً في اشتعالها مثل حرب البسوس و حرب داحس و الغبراء[1]. و كان هناك رواة مطلعون على هذه الأحداث و الأيام يروونها للناس. ويلي هذا النوع من المعارف معرفتهم بالنجوم و مطالعها و أنوائها و أمطارها و منازل القمر و أنواع السحب لأهمية المطر في حياتهم[2]. و كذلك شاعت عندهم الحكمة ولكن لابمعناها الذي عرفت به في العصور الإسلامية و هو الفلسفة، بل القصد منها الحكايات و الأمثلة التي فيها تعليم و وعظ للناس[3]. فكثرت الحكم والأمثال عندهم و اشتهر بينهم حكماء كثيرون يتناقلون ما يجري على ألسنتهم من وصايا و تعاليم يفيدون منها في حياتهم. و بجانب هذه العلوم و المعارف كثر الشعر و كان الشعر ديوان العرب و سجل تاريخهم يفتخرون فيه بمناقبهم و يذكرون مثالب أعدائهم[4]. هذه هي العلوم التي كانت كثيرة التداول في العصر الجاهلي. غير أن ما يهمنا في هذا المجال هو كيفية انتشار هذه العلوم و المعارف بين الناس و انتقالها من جيل إلى آخر. والحق أنه ليس بين أيدينا أي دليل علي أن الجاهليين اتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم و نشر علومهم. و هذا ليس معناه أنهم كانوا لايعرفون الكتابة فقد وجدت

---

١. *المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام*، ٣٤١/٥ و ٣٤٤. *العصر الجاهلي*، ٦٤.٦٥.

٢. *المفصل*، ٤١٩/٨ . ٤٢٥.

٣. *نفس المصدر*، ٣٣٩/٨.

٤. *العصر الجاهلي*، ٨٢ .

نقوش مختلفة تشهد بأن الكتابة كانت معروفة في الجاهلية و كثيرا ما نرى عند شعرائهم تشبيه الأطلال و رسوم الديار بالكتابة و نقوشها من مثل قول المرقش الأكبر:

الـدارُ قفـرٌ والرُّسـومُ كمـا ... رقّـشَ في ظَهـرِ الأديمِ قَلـم

و لبيد في مطلع معلقته يشبه رسوم الديار بالوحي أو الكتابة في الحجارة و يقول إن السيول جلت التراب عن الطلول حتى كأن آثار الديار كتب طمست فأعيد بعضها على بعض و ترك ما تبيّن منها:

عَفَـتِ الـدّيارُ مَحلُّهـا فَمُقامُهـا ... بِمـنيً تَأبّـدَ غَوْلُهـا فَرِجامُهـا

فَمَـدافِعُ الرّيـانِ عُـرّيَ رَسْمُهـا ... خَلَقاً كَما ضَمِنَ الوُحيَّ سِلامُها

وجَلا السُيولُ عَنِ الطلولِ كأنّها ... زُبُـرٌ تُجِـدُّ مُتُونَهـا أقلامُهـا[1]

فالكتابة كانت معروفة في الجاهلية و كان العرب يكتبون بينهم العقود والمواثيق و يكتبون الرسائل في بعض الأحوال غير أنهم كانوا لايستخدمون الكتابة أداة في نقل أخبارهم و أشعارهم إلى الأجيال التالية. و ربما كان السبب الرئيس في هذا الأمر صعوبة الحصول على وسائل الكتابة كالجلود و الحجارة و العظام و سعف النخل.

و كل ما بين أيدينا من روايات عن كتابة بعض الأشعار في الجاهلية إنما يدلّ على أن الكتابة كانت معروفة لديهم و خاصة في المجتمعات المتحضرة مثل مكة والمدينة والحيرة ولكنه لايدل بحال من الأحوال على أنها اتخذت أداة لحفظ أشعار العرب و تسجيل أخبارهم و أيامهم[2]. ولو كان لديهم كتاب جمعوا فيه أخبارهم و أشعارهم لما أطلق الله عز و جل على القرآن اسم الكتاب، و هذا يعني لميكن لديهم كتاب أنذاك قبله و أما مايقال من أن المعلقات كانت مكتوبة معلقة في الكعبة فليس إلاّ من باب الأساطير و هو في الحقيقة ليس أكثر من تفسير فسّر به المتأخرون معنى كلمة «المعلقات». و يقال إن ابن عبدربه هو أول من أورد في كتابه *العقد الفريد*[3] قصة المعلقات بينما يؤكد الجاحظ في *البيان و التبيين* أن المعلقات معناها المسمطات و المقلدات و كانوا يسمون قصائدهم الطويلة الجيدة بهذين الاسمين و مايشبههما[4]. و قد نفى ابن نحاس ما أورده صاحب *العقد*، يقول: «لم يَثْبُت ماذكره الناس من أنها كانت معلقة على

١. شرح *المعلقات السبع*، ٩٤.٩١.
٢. *العصر الجاهلي*، ٨٤.٨٣؛ قارن: *مصادر الشعر الجاهلي*، ١٦٢.
٣. *العقد الفريد*، ١١٩/٦.
٤. *البيان و التبيين*، ٨/٢ .

الكعبة».[١]

و إذا كان القرآن الكريم على قداسته لم يجمع في مصحف واحد إلاّ بعد وفاة الرسول (ص) و الأحاديث النبوية كانت تروى شفوية حتى أواخر القرن الأول الهجري، فذلك وحده يكفي لبيان أن العرب لم تنشأ لديهم في الجاهلية فكرة جمع أشعارهم و أخبارهم و إنما نشأ ذلك في الإسلام و بمرور الزمن.

فرواية الشعر شفوية كانت في العصر الجاهلي هي الوسيلة الوحيدة لذيوعها و نشرها و كانت هناك طبقة تحترف الرواية و هي في الدرجة الأولى طبقة الشعراء أنفسهم. فقد كان من يريد نظم الشعر يلزم شاعراً و يروي عنه أشعاره حتى ينفتق لسانه و يسيل عليه ينبوع الشعر و الفن[٢].

الرواية في صدر الإسلام والعصر الأموي

الرواية الشفوية للشعر الجاهلي و أخبار العرب و آثارهم كانت لاتزال مستمرة في صدر الإسلام و العصر الأموي و قد أخذت تظهر عوامل تقوي من شأنها منها: الحاجة الماسة إلى معرفة الأنساب إذ كانت تلعب دوراً هاماً في رواتب الجند الفاتحين و في تحديد مراكز القبايل و منازلهم بالمدن الجديدة التي خططوها مثل البصرة و الكوفة فأصبح للنسابين شأن خطير إذ كان العرب يرجعون إليهم في معرفة أصولهم و أنسابهم و كثيراً ماكانوا يستندون إلى قطع من الشعر لتحديد نسبهم. و عندما نشبت الحرب بين الأحزاب المختلفة في العصر الأموي اشتعلت نار العصبيات القبلية اشتعالاً لم تخمد حتى نهاية هذا العصر. فأخذت كل قبيلة تعنى برواية شعرها الجاهلي الذي يصوّر مناقبها و مثالب خصومها، فاتخذوا كل بيت من‌الشعر سهماً يوجهونه إلى خصومهم و كان ذلك أكبر سبب لحفظ الشعر الجاهلي والاعتناء به. كما قال العسكري في كتابه التصحيف و التحريف: «كانوا ربما اختلفوا في بيت من الشعر أوخبرٍ أويوم من أيام العرب فيبردون فيه بريداً إلى العراق و يسألون علماءها عن صحة الأمر فيه وصوابه»[٣].

كانت طريقة النقل الشفوي تستمر في طوال القرن الأول الهجري و لم يكتب إلاّ القرآن الكريم حتى ظهرت عوامل جديدة . غيرالعوامل التي ذكرناه آنفا . تدفع إلى حفظ الأشعار والروايات المتعلقة بها. و كان من أهم هذه العوامل تفسير القرآن الكريم؛ فقد جرت عادة المفسرين

---

١. *معجم الأدباء*، ١٠/٢٦٦.

٢. *العصر الجاهلي*، ٦٨.

٣. *التصحيف و التحريف*، ٤.

منذ ابن عباس علىالاستشهاد بالشعر الجاهلي في شرح ألفاظ الذكر الحكيم. فقد اعتمد المفسرون اعتماداً شديداً على الشعر الجاهلي لفهمهم الآيات القرآنية و يضاف إلى هذه العوامل ميل العرب والمسلمين للاطلاع على الحوادث الماضية خاصّة على أخبار الفتوحات فكثرت عنايتهم بحفظ الأخبار التي تتضمن الأبيات الشعرية.

وحينما نتأمل في أواسط القرن الثاني للهجرة نجد كميّات هائلة من الأشعار و الأخبار جارية على الأفواه شائعة بين القبائل من البدو والحضر تنقل من صدر إلى صدر و من غير شك فأن كثيراً من هذه الروايات التي تعتبر التراث العربي، ضاعت في أثناء هذا المسار الزمنى الطويل أي منذ الجاهلية حتى العصر الأموي و يقول في ذلك ابن سلام: «لما كثرالإسلام و جاءت الفتوح و اطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون و لاكتاب مكتوب و ألفوا ذلك و قد هلك من [رواة] العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك و ذهب عليهم منه كثير»[١]. فأصيبت الروايات الشعرية والأخبار على مر الزمن بآفة النسيان، و قد ضاعت كميات طائلة منها، كما أصيبت بآفة الانتحال والوضع فَحُرّفت تحريفاً غريباً دخلتها الأكاذيب و الروايات الموضوعة. و هنا لابد لنا فى وقفة قصيرة أمام هذه القضية.

الانتحال

في مطلع العصر العباسي ظهرت طائفة جديدة من الرواة المحترفين من العرب والموالي اشتهروا برواية الشعر الجاهلي والأخبار و هم حضريون جميعاً عاشوا غالباً فيالبصرة والكوفة مختلفين تماماً عن رواة القبائل يطلق على كل واحد منهم اسم الراوية أي الراوي الكبير. وكان هولاء الرواة يتخذون لأنفسهم حلقات في المساجد يحاضرون فيها على الطلاب و في أثناء ذلك يروون لهم الأشعار والأخبار و يشرحون لهم الألفاظ الغريبة أو ينقلون الحوادث التاريخية. و من أشهرهم خلف الأحمر (المتوفى سنة ١٨٠ ه) و حماد الراوية (المتوفى سنة ١٥٦ ه) و كان لهولاء الرواة خبرة و معرفة بحياة أهل البادية يجيدون لغتهم مطلعين على أساطيرهم و أخبارهم و أنسابهم و يمتازون جميعاً بذاكرة قوية. فقد رحل بعضهم إلى بوادي نجد و الحجاز ليستقي الأشعار و الأخبار الجاهلية من ينابيعها الصحيحة. و كان من بين البدو من هاجر إلى الكوفة والبصرة ليعرض على هولاء الرواة ما لديه من الأخبار و الأشعار. و لانكاد نمضي في أواخر القرن الثالث حتى نجد هولاء الرواة و قد أنشأوا مدرستين متقابلتين: مدرسة فيالكوفة والأخرى فيالبصرة. و من الطريف أن أشتهرت كلتاهما

١. *طبقات الشعراء*، ٢٢.

بالوضع والانتحال في الروايات الشعرية و الأخبار و الأحاديث النبوية غير أن الوضع و الانتحال بين الكوفيين كان أكثر شيوعاً منه عند البصريين. حتى كان مالك بن أنس يُسمي الكوفة دارالضرب يعني بها تُضرب فيالكوفة الأحاديث كما تضرب الدراهم والدنانير[١]. و قال أبوالطيب اللغوي: «الشعر بالكوفة أكثر و أجمع منه بالبصرة و لكن أكثره موضوع و منسوب إلى من لم يقله»[٢]. و ليس معنى ذلك أن رواة الكوفة في جملتهم كانوا متهمين بخلاف رواة البصرة. فكان بين الطرفين جميعاً متهمون و موثقون و كانت روايات البصريين أوثق من روايات الكوفيين.

و ربما كان السبب في تقدّم مدرسة البصرة على الكوفة في الرواية أن في رأس رواتها أبا عمروبن العلاء و كان أميناً ثقة صالحاً يقول الجاحظ عنه: «كان أعلم الناس بالغريب و العربية و بالقرآن والشعر و أيام العرب و أيام الناس»[٣] و روي عنه أنه قال: «ما زدتُ في شعر العرب إلاّ بيتاً واحداً»[٤]. بينما كان في رأس مدرسة الكوفة حماد الراوية و كان متهماً بالوضع، لايوثق بما يرويه و يقول عنه أبوالفرج الأصفهاني «كان في أول أمره يتشطر و يصحب الصعاليك واللصوص فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله و كان فيه جزء من شعر الأنصار فقرأه حماد فاستحلاه و حفظه ثم طلب الأدب والشعر و أيام الناس و لغات العرب بعد ذلك و ترك ما كان عليه فبلغ في العلم مابلغ»[٥]. و ربما كان مما يصور هذا العلم و مداه ما رواه أبوالفرج الأصفهاني في قوله «أن الوليدبن يزيد سأله بِمَ استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال: بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أميرالمؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممن لم تعرفه و لم تسمع به. ثم لاأسمع شعراً قديماً و لامحدثاً إلاّ ميّزتُ القديم منه من المحدث. فقال الوليد: إن هذا العلم و أبيك كثيرٌ فكم مقدار ما تحفظه من الشعر. قال كثيراً ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام. قال: سأمتحنك في هذا و أمره بالإنشاد فأنشد الوليدَ حتى ضجر ثم و كلّ به من استحلفه أن يصدقه عنه فأنشده ألفين و تسعمائة قصيدة للجاهليين و أخبر الوليد بذلك»[٦].

قد يكون في هذا الخبر نوع من المبالغة غير أنه يصور مدى معرفته و روايته للشعر

---

١. *العصر الجاهلي*، ٩٢.
٢. *مراتب النحويين*، ٢٣.
٣. *البيان والتبيين*، ٣٢١/١.
٤. *وفيات الأعيان*، ٤٦٨/٣.
٥. *الأغاني*، ٨٧/٦.
٦. *الأغاني*، ٧١/٦.

الجاهلي. و مع سعة علمه بكلام العرب و أشعارها و أخبارها و أنسابها و أيامها فقد اشتهر بالوضع و الانتحال، ينظم على لسان الجاهليين ما لم ينطقوا به و يُروى عن المفضل الضبي أنه قال: إن حماداً الراوية أفسد الشعر ما أفسده فلا يصلح أبداً. فقيل له و كيف ذلك؟ أيخطىء في روايته؟ قال ليته كان كذلك؛ فان أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، لا و لكنه رجل عالم بلغات العرب و أشعارها و مذاهب الشعراء و معانيهم فلايزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل و يدخله في شعره و يحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء و لايتميّز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد و أين ذلك؟[١]».

و من الرواة الذين عاصروا حماداً واشتهروا بالوضع خلف الأحمر. قال أبو زيد الأنصاري: حدثني خلف الأحمر قال: أتيتُ الكوفة لأكتب عنهم الشعر فبخّلوا عليّ به فكنت أعطيهم المنحول و آخذ الصحيح ثم مرضتُ فقلت لهم: ويلكم أنا تائب إلى الله تعالى، هذه الأشعار لي. فلم يقبلوا مني فبقيت منسوبة إلى العرب لهذا السبب»[٢].

فابتلي الأدب العربي في القرن الثاني الهجري بمثل هولاء الرواة الوضاعين. و لذا نجد في أواخر هذا القرن كميّات طائلة من الأشعار و الأخبار تُروى بطريقة النقل الشفوي و قد دخلها فساد كثير اختلط زائفها بصحيحها بحيث لايتميز الصحيح منها.

تدوين الروايات

لقد ظهر بجانب خلف الأحمر و حماد و أمثالهما رواة ثقات أحدثوا تحولاً عظيماً في تاريخ الأدب العربي فإنهم لم يعودوا يعتمدون على الرواية الشفوية مخافة ضياع الروايات أو تحريفها الأكثر؛ فقاموا بمهمتين: أولهما أخذوا يجمعون الروايات الشعرية والتاريخية واللغوية و دونوها و بذلك تحولت العربية من لغة مسموعة فحسب إلى لغة مسموعة مكتوبة و قد أدت جهودهم إلى تدوين منهجي للآثار ظهرت إثره مجموعات قيمة من الآثار الشعرية والأدبية و اللغوية مكتوبة. و ثانيهما: بذل هؤلاء الرواة المدونون جهودهم في تنقيح الروايات و تمييز صحيحها من منحولها، فلم يكتفوا بالسماع من الرواة السابقين فرحلوا الى الصحراء العربية ليصححوا مسموعاتهم و يتوثقوا بما يروونه و من أشهر هولاء الرواة الأصمعي و أبوعبيدة معمربن المثنى و أبو زيد الأنصاري

١. *معجم الأدباء*، ١٠/٢٦٥. *الأغاني*، ٦/٨٩.
٢. *وفيات الأعيان*، ٢/٣٧٩.

و أبو عمرو الشيباني و قيل: «إن أبا عمرو دخل البادية و معه دستيجتان[١] من حبر فما خرج حتى أفناهما بكتابة ما سمعه من العرب»[٢].

فأخذت موجة التدوين و التأليف تتسع اتساعاً شديداً في أواخر القرن الثاني الهجري. فالكتابة حلت محل الرواية الشفوية و سُجّل في طيّات الكتب ما كان ينقل منذالقرون شفوياً و من صدر إلى صدر و هكذا قد حفظ هولاء الرواة هذه الذخائر العلمية والأدبية التي تعد التراث العربي القديم و مهّدوا طريق الكتابة والتأليف لأخلافهم في القرون التالية و من اراد الاطلاع على مدى هذا النشاط التأليفي يستطيع مراجعة *الفهرست* لابن النديم و كتب التراجم. فقد ترك هشام بن محمد الكلبي نحو مائة و أربعين كتاباً و كانت كتب المدائني لاتقل عنها عدداً و جميع الكتب التي ظهرت في القرنين الثالث والرابع للهجرة سواء كانت مجموعات أدبية أو شعرية أو أمالي أو أخباراً و تراجم *كالبيان و التبيين* و حماسة أبي تمام والمفضليات و أمالي القالي و *طبقات الشعراء* و *عيون الأخبار* و *العقد الفريد* و *الأغاني* و غيرها استفاد مؤلفوها من الآثار التي جمعها و دونها الرواة الثقات كالأصمعي و أقرانه. و في الفصول الآتية سوف نتناول هذه المؤلفات بالدراسة، نبدأها بأمهات المصادر الشعرية و الأدبية.

١. دستيجة: وعاء كبير.

٢. *نزهة الألباء*، ٦٣.